المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:02 (2022)، ص256-270

التأديب والعقاب عند ابن تومرت من خلال كتاب أخبار المهدي للبيذق (ت555هـ؟)

discipline and punishement according to Ibn Toumert through the book "Akhbar Al-Mahdi" by Al-Baydaq (Died: 555 H?)

كمال رجالين*
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر تاريخها، مصادرها، أعلامها
جامعة باتنة 01 (الجزائر)
kemel.ridjaline@univ-batna.dz

رضا شعبان
جامعة باتنة 01 (الجزائر)
ridha.chabane@gmail.com

معلومات المقال
تاريخ الإرسال:
2022/09/04
تاريخ القبول:
2022/11/06
الكلمات المفتاحية:
✓ التأديب والعقاب
✓ ابن تومرت
✓ البيذق
✓ كتاب أخبار المهدي

الملخص:

إنّ دولة الموحدين على غرار أيّة دولة كُتب لها القيام والصمود أمام المحن العاصفة بها، نجد لها نظاما عقابيا يحمي كيانها ويُقَوي شوكتها، ففي محاولة لفهم طبيعة النظام العقابي التأديبي لدى مؤسس دولة الموحدين "**ابن تومرت**" (ت524هـ/1130م)، حاولنا استنطاق كتاب "**أخبار المهدي**" لمؤلفه "**البيذق**" (ت555هـ؟/1160م؟)، والذي يُعدّ من أوائل المصادر الّتي أمدتنا بوافر المعلومات عن منطلقات دولة الموحدين، متتبعين في ذلك كل ملمح يمتّ للعقاب أو التأديب بصلة، ومتوخين جمّ المحاذير الّتي من شأنها تحصين البحث من منزلق الرؤية الأحادية.

Article info
Received:
04/09/2022
Accepted:
06/11/2022
Key words:
✓ punishment and dscipline
✓ Ibn Tumart
✓ AL Baydaq
✓ El Mehdi book

Abstract :

As each country destined for her to withstand adversity we find out that it has a punitive system that protects and strengthens its entity. And in an attempt to understand the nature of the disciplinary system of the founder of the Muhammadan State Ibn Tumart we tried to study EL Mehdi book by its author AL- Bydaq which is one of the first source that provided us with information about the starting points of the Muhammadan State ; following up on any incident related to punishment and discipline avoiding falling into the trap of historian's ideologies.

* المؤلف المرسل

مقدمة

حظي موضوع التأديب والعقاب بأبحاث كثيرة في مختلف حقول العلوم الإنسانية، فجوهر هذا الموضوع تحقيق العدل واستئصال الظلم، فبه تستقر المجتمعات ويُستتبُ الأمن وتحفظ الأنفس، فلا تخلو دولة من الدول قديما أو حديثا من نظام عقابي يحقق لها الاستقرار والعدالة في أوساطها، وإزاء هذا حاولنا كشف وتتبع حيثيات نظام عقابي ببلاد المغرب الإسلامي في عصره الوسيط؛ ممثلا في المنهج التأديبي التومرتي متّخذين من كتاب **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين** للبيذق (ت555هـ؟ /1160م؟) المصدر الأساس في رصد المعلومة، رغم عُسر التعاطي مع هذه المصنفة "**المؤدلجة**".

إنّ من بين مرامي هذه الورقة المعنونة **بالتأديب والعقاب عند ابن تومرت من خلال كتاب أخبار المهدي للبيذق** محاولة الإفصاح عن درجة الإنصاف والعدل في الإجراء التأديبي العقابي لدى ابن تومرت؛ فقد تباينت آراء المؤرخين حول منهجه العقابي بين المجيز المبرر، والقادح المُشنع، وبين من رسم في سردياته صور البطولة والفخر، متماشيا في ذلك مع ذهنية المصامدة في طباع القسوة والعنف والمباهاة بسفك الدماء، ولكل مؤرخ في عموم السياقات التاريخية مقصد وراء قدحه أو مدحه لهذا المنهج. لا شكّ أنّ مسعى إثراء الموضوع والإحاطة الواسعة بمختلف جوانبه يدفع إلى طرح هذه الإشكالات: **إلى أي مدى كانت سرديات البيذق في مضمار "التاريخ الموجه"، الرامي إلى إبراز لتلك الصورة النمطية؟ كيف كانت ردود أفعال العامة تجاه الإجراءات التأديبية العقابية التي سلكها المهدي بن تومرت في خِضم دعوته الإصلاحية ببلاد المغرب الإسلامي؟ وهل كانت قاعدة "لا جريمة ولا عقوبة إلّا بنص" (العمري، 1997م، ص 47/1). مفعلة في المنظومة العقابية التومرتية؟**

إنّ المعالجة الأمثل لهذا الموضوع تقتضي العمل وفق المنهج التاريخي ذي الآلية التحليلية والاستقرائية، اقتضاء لطبيعة البحث المركَز على تتبع مختلف القضايا التأديبية والعقابية؛ للوصول إلى ذلك الحكم العام، والذي من خلاله يمكننا تقويم التجربة التومرتية في مجال العدالة ببلاد المغرب الإسلامي.

1.علاقة ابن تومرت بالبيذق صاحب كتاب أخبار المهدي

إنّ الإفصاح عن العلاقة الرابطة بين صاحب الكتاب "**البيذق**" (ت555هـ؟ /1160م؟) وصاحب الدعوة ابن تومرت (ت524هـ/1130م)، يفضي إلى نتائج طردية عاكسة لتلكمُ الصلة، ولتبيان هذه العلاقة ابتدأنا هذه الورقة بتعريف الكاتب والقيمة العلمية لكتابه، ثمّ حاولنا استنطاق هذا المصنف والذي لا مناص منه لأي باحث أراد الخوض في ثنايا تجربة الموحدين بالغرب الإسلامي.

1.1. التعريف بالبيذق

إنّ الطابع السري الذي اكتنف منطلقات دعوة الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي انعكس سلبا على عدم إزالة لثام التعريف عن بعض الملتحقين الأوائل بالمشروع المهدوي التومرتي، بما في ذلك مجلس العشرة[1]. الذي كونه ابن تومرت، اللّهم بعض المعلومات العرضية المتناثرة في بعض المصادر المؤرخة لهذه الحقبة التاريخية، ولهذا فليس من السهل إيجاد مساحة تعريفية لهذه الشخصية المسماة بأبي بكر بن علي الصنهاجي، والمكنّى

بالبيذق[2]، عدا بعض التخمينات، أو الاستنتاجات الّتي تبقى في حكم الاجتهاد، فبخصوص كنيته بالبيذق فمن المعاجم من ترجمها على أنّها "**الدليل**" (إبراهيم أنس، 2004م، ص78)، أي: "**دليل المسير**"، ومنهم من رأى أنّ الكلمة فارسية الأصل وليست بعربية، وهي بمعنى: خفيف الحركة (ابن منظور، 1984م، ص 23/10)، وفي العموم ليس هنالك ما ينافي هذه الصفات عن أبي بكر الصنهاجي، كَونه من المرافقين لابن تومرت في رحلاته؛ فيمكن أن يكون دليلا في السفر، وخفيفا للحركة نظرا لطبيعة هذا النشاط، أمّا أصوله فيرجعها "**علي أزايكو**" إلى الأطلس الصغير وبالضبط "**أرغن**" بجوار "**هرغة**" القبيلة التي ينتمي إليها ابن تومرت (أزايكو، 2004م، ص89).

لم يُعرف للبيذق تاريخ محدد لميلاده، في حين رجّح عبد الحميد حاجيات في تحقيقه لكتاب أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين سنة (555هـ) كتاريخ لوفاته، ويبقى تاريخ لقائه بابن تومرت محصورا في خمس مناسبات وهي:

الأولى: مرافقة ابن تومرت في رحلة طلب العلم، وهي مستبعدة لغياب أي تلميح في المصنفات يدل على ذلك.

الثانية: التقاؤهما في موطن درس ابن تومرت بالمشرق أو الأندلس.

الثالثة: التقاؤهما في الحج ورفقتهما في مسير الرجوع.

الرابعة: التقاؤهما في مصر، والّتي هي من محطات ابن تومرت في رحلة الرجوع إلى مراكش.

الخامسة: التقاؤهما في تونس، والتي كانت كذلك من محطات ابن تومرت في رحلة العودة إلى مراكش، وهي من المحطات الّتي صرّح بها البيذق في كتابه "**أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**"[3].

2.1. الكتاب وقيمته العلمية

يعدُّ كتاب أخبار المهدي بن تومرت من أوائل المصادر التي أرّخت لبداية تجربة الموحدين ببلاد المغرب الإسلامي، فلا نكاد نقف على بحث إلاّ وجعل هذا الكتاب ضمن أولويات مصادره، بما فيها الكتابات قريبة العهد بدولة الموحدين، فقد جعلوه القبلة الأولى لاستقاء المعلومة الخاصة بابن تومرت على وجه الخصوص، ومن بين هؤلاء المؤرخين نذكر: ابن الأثير (ت 630هـ/1232م) في الكامل[4]، وابن القطان المراكشي (حي سنة 650هـ/1252م) في كتابه نظم الجمان، والذي نقل في أكثر من موضع عن البيذق[5]، وابن عذارى المراكشي (حي سنة 712هـ/1312م)[6]، ثمّ من لحقهم من المؤرخين كابن أبي زرع الفاسي (حي سنة 726هـ/1326م) في كتابه روض القرطاس[7]، وابن خلدون (ت 808هـ/1405م) في عبره[8].

وبالتالي فإنّ اعتماد مثل هذه المصادر الكبرى على مصدر صغير الحجم، دليل على نوعية المعلومة من جهة، وغزارتها من جهة أخرى، وما يزيد من قيمة هذا المصدر أكثر هو معايشة مؤلفه للحدث، والمشاركة في صنع مجرياته ـ رغم ما حواه هذا الكتاب من ذاتية، وخدمة مصالح إيديولوجية لطرف على حساب آخر ـ فمن هنا تأتت أهمية هذا المصدر في تبيان حيثيات بداية دولة الموحدين، والمجسدة في فترة ابن تومرت والخليفة الأول عبد المؤمن بن علي (ت558هـ/1164م)[9] تحديدا.

3.1. ابن تومرت والبيذق، أيّ علاقة؟

لا يمكن الجزم بتاريخ أول لقاء جمع بين المهدي بن تومرت والبيذق، ولكن يمكن الجزم بتلك العلاقة الوطيدة الّتي جمعت الاثنين، وذلك الحبّ الذي كان يُكنّه البيذق لابن تومرت، وفيما يلي سنحاول تلخيص تلك العلاقة في ثلاثة مؤشرات مهمّة، وهي:

1.3.1. من السبّاقين لخدمة ابن تومرت

كانت ملازمة وخدمة البيذق للمهدي بن تومرت شبه دائمة؛ ليل نهار، وهذا ما لاحظناه من خلال الأخبار الواردة في كتاب "**أخبار المهدي**"، والتي سنعرض جملة منها تأكيدا لهذا القول: "**فلمّا جنّ الليل نادني المعصوم يا أبا بكر ادفع لي الكتاب...فدفعته له وقال لي أسرج لنا سراجا**" (البيذق، 1971م، ص16)، وبالتالي لم تقتصر الخدمة في النهار فقط، بل تعدّته إلى اللّيل أيضا.

"وأشار المعصوم بيده للحاج الدكالي[10] وعبدكم الفقير لله [البيذق] ولكم فقمنا حتى وصلنا إليهم فقلنا لهم قد حُرم اللهو والمنكر.." (البيذق، 1971م، صفحة 22)، فكان ينفذ الأمر دون تعقيب أو مناقشة، للاعتقاد الجازم بعصمة ابن تومرت، وهذا ما نستشفه في هذا الأمر كذلك: "**فقال لنا المعصوم اكسروا ما وجدتم من اللّهو**" (البيذق، 1971م، ص 24)، فيُنفذ الأمر دون معارضة، أو اقتراح رأي.

2.3.1. شهود الرحلة والغزوات

كانت ملازمة البيذق لابن تومرت سفرا وحضرا، غازيا حربيا، أو مفاوضا مسالما، ومن نماذج سفر وغزو الاثنين معا، نورد ما يلي:

1.2.3.1. الرحلة

ـ **رحلتهم من تونس إلى قسنطينة:** "**فلما كان بعض الأيام أمرنا بالأخذ على أنفسنا، وقال لنا نتوجه إلى الغرب**" (البيذق، 1971م، ص 12). فكانت الوجهة قسنطينة.

ـ **رحلتهم من قسنطينة إلى بجاية:** "**فلم نزل نجد السير حتى دخلنا بجاية**" (البيذق، 1971م، ص 12).

ـ **رحلتهم من ملالة إلى المغرب:** "**فلما أمسا المساء قال لنا عولوا على السير نحو المغرب**" (البيذق، 1971م، ص 17).

2.2.3.1. الغزوات

لم يتخلّف البيذق عن أي غزوة غزاها ابن تومرت (التسعة)[11]، كما شارك البشير في سياسة التمييز، وشارك في العديد من الغزوات بعد وفاة المهدي (البيذق، 1971م، ص35،40).

3.3.1. الإيمان الصادق بمهدوية وعصمة ابن تومرت

إنّ المتتبع للدلالات اللّفظية الواردة في كتاب أخبار المهدي، يتأكد يقينا مما لا يترك للشك مجالا، بالإيمان الصادق الذي عاشه البيذق تجاه ابن تومرت، كيف لا وهو من الأوائل الذين بايعوه (البيذق، 1971م، ص 34. 35)، ومن الصيغ الدالة على ذلك: "**سيدنا المعصوم**" (البيذق، 1971م، صفحة 11. 12. 16)، "**الإمام المهدي**

ﷺ" (البيذق، 1971م، ص 16)، "**أعلم أنّ الله تعالى لما أمر بخروج المعصوم**" (البيذق، 1971م، ص25)، فكتاباته هي لسان حال السلطة التومرتية بامتياز، أو قل: هو **تاريخ بلاطي** خالص.

2.الإجراء التأديبي والعقابي عند ابن تومرت

يهدف الإجراء العقابي التأديبي إلى تحقيق تلك الترقية السلوكية الأخلاقية، فما هي الإجراءات العقابية الواردة في كتاب "**أخبار المهدي**" الثابتة عن ابن تومرت؟ وكيف كانت ردة فعل عامة الغرب الإسلامي تجاه هذه الإجراءات التأديبية العقابية؟

1.2. تأسيس مفاهيمي.. التأديب والعقاب

من أبجديات الأبحاث التاريخية إخضاع مفردات العنوان للعملية التعريفية المؤسِسَة لذلك المغزى العام الذي يهدف إليه البحث، ومن المفردات المفتاحية في هذا البحث: التأديب والعقاب.

1.2. 1. التأديب

معظم التعريفات اللّغوية الواردة في مصطلح التأديب كانت تعريفات غائية، فقد قال ابن منظور (ت721هـ/1321م): يسمى أدبا لأنّه يؤدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، كما هي رياضة النفس ومحاسن الأخلاق (ابن منظور، 2008م، ص43)، أمّا الفيومي (ت770هـ؟/1368م) فقد ربط التأديب بالعقاب فقال: "**أدبته تأديبا إذا عاقبته على إساءته**" (الفيومي، 2009م، ص 4)، و كذا كان شأن التعريف في المعجم الوسيط فقالوا: "**أدبه: لقنه فنون الأدب، وجازاه على إساءته**" (إبراهيم أنس، 2004م، ص 9)، أمّا التعاريف الاصطلاحية فقد وقفنا على تقاطع في حيثيات مضامينها والتعاريف اللّغوية؛ فعرّفه ـ التأديب ـ ابن قدامة المقدسي (620هـ/1222م) على أنّه ضرب ووعيد وتعنيف (المقدسي، 1997م، ص 350/2)، ونفس التعريف في غالبه نجده عند ابن المبرد (ت909هـ/1503م) "**التأديب هو الردع بالضرب والزجر**" (المبرد، 1991م، ص 234/2)، في حين نجد من يربط التأديب بالتعزير (إبراهيم، 2007م، ص 51)، أو يجعله مرادفا للعقوبة (قلعجي، 1989م، ص 188).

انطلاقا مما سبق يمكن صياغة تعريف للتأديب يكون كالآتي: إجراء عقابي يشمل التوبيخ والتعنيف والضرب، لتهذيب سلوك الجاني وتقويم أخلاقه، يقوم به أهل الولاية والاختصاص.

1.2. 2. العقاب

لم يجعل ابن منظور (ت 721هـ/1321م) فرقا كبيرا في تعريفه للتأديب والعقاب، فقد قال: "**العقاب والمعاقبة أن تجزي الرجل بما فعل سوءا**" (ابن منظور، 2008م، ص3053)، وقال الشيخ الطاهر بن عاشور (ت1393هـ/1973م) أنّ أصل كلمة عقاب سُميت بذلك لأنّها تعقب الجناية (ابن عاشور، 1984م، ص 293/2)، أمّا فيما يخصّ التعاريف الاصطلاحية للعقاب؛ فقد وقفنا على من يجعل بين العقاب والعقوبة فرقا[12]، أمّا الإمام محمد أبو زهرة (ت1394هـ/1974م) فقد عرّف العقوبة على أنّها كل ما ينزل على الجاني زجرا له

(أبو زهرة، د.ت، ص 7)، وأكثر تفصيلا نجده في هذا التعريف والذي نصّه أن العقاب هو: "**الجزاء الذي يستحقه الجاني نظير ما وقع منه من معصية لأمر الشرع أو نهيه، سواء أكان الجزاء مقدرا من الله تعالى حقا لله أو للعبد، أو مقدّرا من ولي الأمر بما خول الله له من سلطة**" (العمري، 1997م، ص 45/1)، وبالتالي لم نجد فُروقا بين مختلف التعاريف الواردة في مفردة العقاب، فكلها تصب مصب الجزاء المؤلم عن جناية وجُرم.

التعريف المختار للعقاب: انطلاقا مما وُقف عليه من تعريف للعقاب يتعيّن أنّه: "**جزاء وضعه الشارع للرّدع عن ارتكاب ما نهى عنه وترك ما أمر به، فهو جزاء مادي مفروض سلفا، يجعل المكلف يحجم عن ارتكاب الجريمة، فإذا ارتكبها زُجر بالعقوبة حتى لا يعاود الجريمة مرة أخرى، كما يكون عبرة لغيره**" (بهنسي، د.ت، ص 14) وإنّ دفع بنا إلى هذا التعريف أنّه حقق الغاية من وجهين؛ **الأول:** إماطة اللّثام عن مفهوم العقاب، **ثانيا:** تبيان الغاية والهدف من العملية العقابية.

خلاصة: إنّ المتتبع للتّعاريف السابقة لمصطلح التأديب والعقاب؛ اللّغوية منها أو الاصطلاحية يكتشف مدى التقاطع والتداخل بين المفهومين، فكثيرا ما يذكر التأديب على أنّه العقاب، أو العقاب على أنّه التأديب، ولكن مما لا شك فيه أن التأديب ليس هو العقاب[13]، وبالتالي فإنّ مراعاة سياق الكلمة يفضي إلى معرفة المقصد الحقيقي منها.

2.2. نماذج تأديبية عقابية عند ابن تومرت

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان شعار وأساس قيام دولة الموحدين بالمغرب الإسلامي، والنهي عن المنكر في المنهج التومرتي قد يستدعي إجراءات تأديبية عقابية ردعية، وهذا ما سنلاحظه في هذه النماذج التي وثّقها البيذق في كتابه، والّتي أعدنا صياغتها في هذا الجدول:

المكان	طبيعة الجناية أو المنكر	الإجراء التأديبي العقابي
تونس	سوء معاملة يهودي بعد وفاته.	توبيخ الفقهاء وتعريفهم بالكتاب والسنّة (البيذق، 1971م، ص 11).
قسنطينة	جمع حدين في ذنب واحد (الضرب، وقطع اليد للسارق).	ضرب السارق وأمره بالتوبة (البيذق، 1971م، ص 12).
بجاية	اختلاط الرجال بالنساء.	ضربهم بالعصى وتبديد شملهم (البيذق، 1971م، ص 13)
ملالة	بيع الخمور.	إراقة الخمور (البيذق، 1971م، صفحة 14.13).
تلمسان	اللّهو والدّف في موكب زفاف.	كسر الدفوف وآلات اللّهو (البيذق، 1971م، ص 20).
وجدات	استقاء النساء ووضوء الرجال في نفس الساقية.	الإنكار بالقول، والأمر بصناعة صهريج وساقية أمام الجامع (البيذق، 1971م، ص 21).
صاء	نساء مُزينات مُحليات يبعن اللّبن.	توبيخ الفقيه الذي لم ينه عن هذا المنكر (البيذق، 1971م، ص 21).

أكرسيف	صلب الرجل حيّا.	تعنيف وتبديد شمل الفاعلين، ومن جملة ما قاله ابن تومرت: "لأيّ معنى يصلب الأحياء" (البيذق، 1971م، ص 21).
دشر قلال	صراخ الرجال والنساء.	تعنيف المذنبين، وتبيان الحكم الشرعي لهم (البيذق، 1971م، ص 22).
فاس	بيع آلات اللهو والطرب في الحوانيت.	كسر جميع آلات اللّهو والطرب (البيذق، 1971م، ص 24.23).
مكناس	اختلاط الرجال بالنساء.	ضربهم وتفريقهم (البيذق، 1971م، ص 25).
واد أم الربيع	قطع الطريق، وإجبار المارة على دفع المكس.	صاح على قطّاع الطريق، وبيّن لهم الحكم الشرعي من ذلك (البيذق، 1971م، ص 26).

ومما يستند إليه في إبراز مظاهر التأديب عند ابن تومرت، ما ساقه ابن القطان في معرض حديثه عن عصمة هذا الأخير، والتي مفادها: أنّه رأى مناكير في الإسكندرية فغيرها وأغلظ في أمرها (ابن القطان، 1991م، ص91)، والتي لم يتطرق إليها البيذق في كتابه الموجود، مع احتمالية ورود هذه الحادثة في السفر المفقود.

3.2. جدلية القبول والرفض للمنهج العقابي التومرتي لدى عامة المغرب الإسلامي

صحيح أنّ ابن تومرت من خلال دعوته استقطب العديد من الأتباع[14] ـ فقهاء كانوا أو عامة ـ لكن ما يجب الإشارة إليه هو منهجه في الدعوة، الذي لم يلق الإجماع والقبول، فمنهم من آمن وسلّم له، ومنهم من رفض وقاوم.

وفي سياق الرفض والمقاومة، أورد البيذق في كتابه أنّ ابن تومرت أمرهم بتغير منكر وإسداء نصح[15]، فلمّا وصلوا إلى الجناة قالوا لهم: "**معروفنا عندنا، ومعروفكم عندكم، سيرا، وإلّا نمثل بكما وبفقيهكما**" (البيذق، 1971م، ص 22)، فلم يكترث القوم لا بالرسول ولا بصاحب الرسالة الدعوية ـ الفقيه السوسي ابن تومرت ـ ومن النماذج أيضا التي لم يتقبل فيها العامة المنهج التأديبي الذي سلكه ابن تومرت، حين أمره بكسر آلات الطرب واللّهو؛ من المزامير والعيدان والأربية والكيتارات بأحد أزقة مكناس، وهذا ما لم يعجب أربابها فقاموا "**بالصراخ، وساروا شاكين نحو قاضيهم**" (البيذق، 1971م، ص 24)، وبالتالي فإنّ ابن تومرت قد وجد في كثير من الأحيان عنتا ومعارضة ممن نهاهم عن المنكر، "**وقد يتحول الأمر إلى تحرش وتهديد ثمّ إلى مشاجرة**" (النجار، 1983م، ص96)، ومثال ذلك ما **لم يورده** البيذق في كتابه حين أغلظ ابن تومرت على بعض المترفين ببجاية، فأتمر عليه العامة فخرج منها خائفا إلى ملالة (ابن خلدون، 2000م، ص302/6)، ومن **مخفيات** البيذق على إمامه أيضا: حادثة تعرض ابن تومرت للضرب بمكناسة، جرّاء نهيه عن بعض المناكير، فقد "**أوقع بهم الشرار من الغوغاء، وأوجعوه ضربا**" (ابن خلدون، 2000م، ص 303/6)، وهذا الإضمار ناتج عن التبجيل الذي يكنّه البيذق لابن تومرت، وأمّا الدافع لتصديق هاتين الروايتين المخفيتين عند البيذق، ما يلي:

1.3.2. مؤشرات في الرواية

الرواية الأولى: (حادثة بجاية)

ورود نفس الرواية في كتاب البيذق، بصيغة إنكار المذنبين لطريقة نهي ابن تومرت عن المنكر[16] ـ وهذا ما يزيد من صحة وقوة الرواية ـ مما أدى إلى تبعات لم تكن في حسبان ابن تومرت تمثلت في ائتمار العامة به، وبعدها خوفه وفراره إلى ملالة.

الرواية الثانية: (حادثة مكناسة)

أورد البيذق حادثة عقاب واحدة بمكناسة (البيذق، 1971م، صفحة 25)، فلا يمكن الجزم على أنّها الحادثة نفسها المقصودة عند ابن خلدون، وبذلك تبقى إمكانية وجود واقعة عقابية أخرى واردة، وفي كلا الحالتين يبقى البيذق غير ذاكر للتعدّي الجسدي الذي تعرض له ابن تومرت من الشرار والغوغاء، وهذا للسبب سالف الذكر.

2.3.2. مؤشرات في الراوي

راوي هاتين الروايتين هو ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، والذي لم نجد ما يدفعه للتّجني على المهدي ابن تومرت، أو تشويه صورته، بل العكس من ذلك فقد وجدنا نقده وقدحه في الروايات المختَلَقَة لأجل تلطيخ صورة ابن تومرت كقوله في فقهاء المغرب الذين عارضوا ابن تومرت "**ضعفه الرأي والحاسدين**" (ابن خلدون، 2004م، ص114)، وحتى إن سلّمنا بالتوجه الحفصي لابن خلدون فإنّ ذلك لا يدفعه للتجني على ابن تومرت، لاعتبار ما أورده ابن خلدون لا يمت للدولة الحفصية بصلة.

ومن الحوادث التي وجب الإشارة إليها أيضا ما ساقه ابن القطان (حي سنة 650هـ/1252م) في نظم الجمان[17]؛ حين حديثه عن عصمة ابن تومرت، وكيف **عصمه** الله من العامة والغوغاء بالإسكندرية، والتي وجد فيها "**مناكير فغيرها، وأغلظ في أمرها**"، وهذا ما لم يلق الترحاب والقبول من أهل الإسكندرية "**فصاروا يقطعون به في طريقه إلى مجلس الطرطوشي**" (ابن القطان، 1991م، ص91).

أمّا الحادثة الثانية التي أوردها ابن القطان المراكشي ـ والتي تبقى محل نظر وتحقيق من صحتها[18] ـ أنّ ابن تومرت حال رجوعه من الإسكندرية إلى المغرب رأى في السفينة التي كان على متنها "**خمرا فأراقه، فصاح عليه صاحب الخمر وسبّه ووضع يده فيه...**". هكذا فإنّ المنهج التأديبي التومرتي لقى نوعا من الصدّ، وعدم القبول من بعض العامة، فإن الصراخ، والسّب، والشّتم، والضّرب، وتقديم الشكاوى، والتهديد بالقتل، وقطع الطريق، كان من عواقب الإجراءات التأديبية العقابية التي سلكها ابن تومرت، ويمكن إرجاع هذه العواقب إلى ثلاثة أمور مهمة:

ـ الواقع السني ببلاد المغرب وتصادمه مع الفكر المهدوي التومرتي (المغراوي، 2006م، ص 5).

ـ الغلظة والقسوة والعنف هو الاتجاه البارز في منهج ابن تومرت الدعوي.

ـ اعتياد الناس اللّهو والغناء وحب المجون، وهذا ما يتعارض مع القيم الروحية الصوفية، التي كانت ضمن ركائز المنظومة الأخلاقية التومرتية.

2. التأديب والعقاب عند ابن تومرت بين المُجيز المُبرر، والقَادح المُشنع

لم تكن شرعية المنهج العقابي لابن تومرت عند المؤرخين محل اتفاق، فلم تكن نظرتهم على رأي واحد فمنهم من أيّده واعتبره إجراء يذيع الأمن ويحقق عدالة اجتماعية، ومنهم من اعتبره تعسفا وجورا وانتهاكا للحقوق والخصوصيات لأجل إثبات الذات والانتصار للمذهب لا غير.

1.3. المؤرخون الذين استساغوا المنهج العقابي التومرتي

تعتبر الكتابات التاريخية عند المؤرخين من الأدلة المفصحة عن قناعاتهم وآرائهم[19]، وهذا ما لاحظناه في الكتابات التي أرّخت ومجّدت دولة الموحدين، فمن الذين سخَّروا أقلامهم لتعظيم صنائع ابن تومرت (524هـ/1130م) سواء كان تحقيقا لعدالة، أو تكريسا لظلم، "**البيذق (ت555هـ؟/1160م)**" تلميذ ابن تومرت، ومؤرخ دولة الموحدين[20]، فكثيرا ما يتناول القضايا العقابية عند ابن تومرت على أساس أنّها تحقيق للحق، وإبطال للباطل، ومثال ذلك ما ساقه في كتابه أخبار المهدي؛ أن ابن تومرت حين دخوله تلمسان "**وجد بها عروسا تزف لبعلها وهي راكبة على سرج واللّهو والمنكر أمامها، فكسر الدفوف واللّهو، وأنزلها عن السرج**" (البيذق، 1971م، ص 20)، وهذا الإجراء عين الحكمة والصواب عند البيذق.

ومن المؤرخين الذين ساروا مسار البيذق في تبرير أيّ صنيع مخالف لشرع الله اقترفه ابن تومرت، "**ابن القطان**" (حي سنة 650هـ/1252م) في كتابه **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، فلا نجد تصريحا أو تلميحا يُخَطِئ فيه ابن تومرت، أو يُجرّم أفعاله، بل يرى في كل فعل حكمة وغاية، ومثال ذلك: أنّ فقيها كان من أهل العشرة أنكر على ابن تومرت إسرافه في القتل، فكان مصيره القتل والصلب (ابن القطان، 1991م، ص 142)، ومن الشواهد كذلك ما عرضه في سياق حديثه عن أصناف طبقات الموحدين، أنّ ابن تومرت "**أخذهم [أي هذه الأصناف] في تارك امتثال أمر من يُسمع أمره بالقتل.. ومن لم يحضر أُدب، فإن تمادى قتل، وكل من لم يحفظ حزبه عُزّر بالسياط، وكل من لم يتأدب بما أُدب به ضرب بالسوط المرة والمرتين، فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قُتل، ومن داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه أو من يكرم عليه قتل**" (ابن القطان، 1991م، ص 83)، فبدل إعطاء ابن القطان تبريرات لهذه القسوة في معاملة الرعية راح يبين نتائج هذه القسوة، قائلا: "**ضبط أمرهم فيها فانضبط**" (ابن القطان، 1991م، ص 83)، فلم يقم البتة بإنكار ما تبادر من ابن تومرت من قسوة وعنف، ولهذا فإنّ كتابه في "**جملته مذهبي الطابع يكتبه رجل من رجالات الدولة الموحدية متعصب لها أشدّ التعصب، فهو يشيد بآلائها ويهاجم خصومها في عنف بالغ**"[21].

كما لا يخفى على الباحثين في الحقل التاريخي أنّ الكثير من المؤرخين الذين عايشوا حدث الموحدين، يُكنون عظيم الولاء لها، فلا تصغر حميدة في هذه الدولة أو في مؤسسها إلاّ وذكروها وعظّموا من شأنها؛ فهو ديدن ابن صاحب الصلاة مثلا (ت 594هـ/1198م)[22] وغيرهم كثير، فقد ذكر الأستاذ لخضر بولطيف[23] في

كتابه "**فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**" جملة من الذين سلكوا مسلك "**التاريخ الموجه**" على غرار: الأشيري، وابن بجير، وابن غمر (بولطيف، 2009م، ص31).

2.3. المؤرخون الذين شنّعوا المنهج العقابي التومرتي

والتشنيع هنا ليس بالضرورة يكون تصريحا فصيحا معلنا، فنقل الرواية والمبالغة في ذكر ما اقترفه ابن تومرت يعتبر قدحا، اللهمّ إن كان على سبيل المباهاة والفخر، وإظهار صور القوة والبسالة التومرتية في الانتصار للحق، وبالتالي وجب التمعن في المنابع النقدية والخلفيات الإيديولوجية لكل مؤرخ تناول قضية التأديب والعقاب عند ابن تومرت، أو غير ابن تومرت في دولة الموحدين.

من غير المؤرخين كثير من أنكر السلوكات التومرتية ذات الطابع التأديبي العقابي[24] وكذا كان شأن المؤرخين، فقد أورد اليسع بن أبي اليسع (ت575هـ/1179م) رواية تبدوا للخيال أقرب منها للحقيقة، وهذا في سياق حديثه عن دخول ابن تومرت لتينمل، قال: "**فقتل منهم في ذلك اليوم نحوا من خمسة عشر ألفا، وقتل من ذلك القبيل كل من حضر في ذلك اليوم لتينمل، وسبى حرمهم، وغنمت أموالهم، فقسم أرضهم، وكرومهم بين الموحدين من أصحابه**" (اليسع، 2016م، ص 169)، وهذه الجرائم حتى وإن كانت يستحيل أن تكون في يوم واحد كما ذكر اليسع، فهي من ضروب الخيال التي يصعب تصديقها، ومن الروايات التّي شنّعت المنهج العقابي التومرتي أيضا ما أورده ابن الأثير (ت630هـ/1232م) أنّ الموحدين حين دخولهم مراكش: "**قُتل بها أمم لا يعلم عددهم إلّا الله عزّ وجل**" (ابن الأثير، 1997م، ص 248/16)، وعلى نهج سابقيه من المؤرخين سار ابن أبي زرع الفاسي (حي سنة 726هـ/1326) في وصف ابن تومرت أنّه: "**سفّاك لدّماء، غير متورع فيها، ولا متوقف عنها، يهون عليه سفك دماء عالم من الناس في هوا نفسه، وبلوغ غرضه**" (ابن أبي زرع، 1972م، ص 181)، ومثالا على ذلك أورد حادثة لابن تومرت في عدم تورعه في سفك الدماء حتى ولو كانوا من أتباعه (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 183.182).

ومن الذين لم يخفوا آراءهم في صنائع ابن تومرت العقابية الشيخ أبو العباس أحمد الناصري (ت 1315هـ/1897م)، وهو الذي يظهر تأثره بأبي زرع الفاسي، من خلال التشابه الكبير في وصفهم لابن تومرت، وهذا نجده في كتابه "**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**" حيث قال إنّه: "**مقدام على الأمور العظام، غير متوقف في سفك الدماء، يهون عليه إتلاف عالم في بلوغ غرضه**" (الناصري، 1954م، صفحة 85).

كما وقفنا على نصّ لعبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م) ـ ذي التوجه الموحدي ـ في المعجب يبيّن فيه تفاخر المصامدة بسفك الدماء، مبرزا فيه مبررات انقياد عامة أهل المغرب للمنهج العقابي التومرتي[25] ومفاد النص أنّ: "**طاعة المصامدة لابن تومرت تكثر، وفتنتهم به تشتد، وتعظيمهم له يتأكد؛ إلى أن بلغوا في ذلك إلى حدّ لو أمر أحد بقتل أبيه أو أخيه، أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء، وأعانهم على ذلك، وهونه عليهم، ما في طباعهم من خفة سفك الدماء**"، وهذه مبالغة واضحة في محاولة رسم صورة ولاء المصامدة لابن تومرت، ولكنّه في حقيقة الأمر أعطى صورة وانطباعا يشوه ويسوء صورة ابن تومرت أكثر مما تخدمه.

ومن إشارات الأستاذ لخضر بولطيف كذلك؛ أنّه كثيرا ما قوبلت الروايات الموالية لدولة الموحدين بروايات المؤرخين الذين قامت دولهم على أنقاض دولة الموحدين، والتي يرجع معظمها إلى القرن الثامن الهجري، فهم بدورهم يُصَدرون في كتاباتهم عن ولاء ليس بخاف لدولهم (بولطيف، 2009م، ص31)، فإن وجد في هذه الروايات ما يجانب الحقيقة التاريخية الموحدية عُدَّ أمرا مفهوما.

وما يجدر التنويه إليه إلى أنّ ثنائية الروايات الواردة في شأن العقاب والتأديب التومرتي، وجب التعامل معها بكثير من المحاذير؛ فنجد ذلك المؤرخ مقدِّسًا لعمل ابن تومرت نظرا لبيئته الموحدية، أو إيمانه بمهدوية وعصمة هذا الأخير، أو ذلك المشنِّع؛ مضمرا كان أو معلنا[26] لأي منقبة تومرتية[27] يرى في منهج ابن تومرت أنّه ظلم وتعسف، وما هو إلّا قسوة وعنفا رضخ فيه ابن تومرت لطباع بيئته المصمودية، وما جُبلوا عليه من القتل وهدر الدّماء، وهذا الرأي في عمومه صورة يرسمها المعادون لدولة الموحدين، والموالون للدّول التي قامت على أنقاضها.

كما يبقى المشنع لهذا المنهج التأديبي العقابي، ليس بالرافض لكل التوجهات التومرتية الموحدية، فسفك الدماء مثلا هو ما جُبل عليه المصامدة أنفسهم (عبد الواحد ، 1949م، ص 191)، فمن المؤرخين من ساق الروايات العقابية على سبيل المباهاة والفخر[28]، وبالتالي وجب القول أنّ ما أطلقنا عليه "**التشنيع**" قد يكون لونا من ألوان الإشهار الدعائي للقوة والبسالة من جهة، أو لإظهار ذلك الإيمان الصادق الذي يؤدي بصاحبه إلى رؤية الإجراءات العقابية عند ابن تومرت هو الحزم والجدّية في تطبيق الأحكام الشرعية.

خاتمة

ممّا لا شك فيه أنّ كتاب "أخبار المهدي" أعطى إضافة نوعية لمجمل المصادر التي تناولت حقبة الموحدين، فمنهج العملية التأريخية لدى البيذق يأخذ طابع كتب الرحلة حينا، وطابع كتب السير والمناقب حينا آخر، ويغلب عليه طابع المذكرات الشخصية، كما أنّ القارئ لهذا الكتاب لا يجد صعوبة في إدراك التوجه الذي سار عليه البيذق في تقديس ابن تومرت، ولكن ما يجب التنويه إليه هو أنّ داعي الكتابة عند البيذق لم يكن التزلف والانبطاح، بل الإيمان الصادق بمهدوية وعصمة ابن تومرت.

أمّا فيما يخص النظام التأديبي العقابي لدى ابن تومرت، فقد توصلنا إلى الآتي:

- النهي عن المنكر يستدعي إجراءات تأديبية عقابية، وهذا ما سار عليه ابن تومرت.
- التأديب والعقاب لم يشمل العامة فقط، بل تعدى إلى الفقيه، والوزير.
- الإجراء التأديبي العقابي لدى ابن تومرت يتعدى الجغرافيات، فقد كان النّهي عن المنكر ـ بمختلف أساليبه ـ أينما حل وارتحل.
- المنهج العقابي التومرتي لم يلق القبول في جميع حالاته من ساكنة المغرب الإسلامي.
- القسوة والعنف كانت السمة البارزة في بعض الأحكام الإجرائية؛ فالسرعة إلى سفك الدماء كان له الحضور القوي في المنظومة العقابية التومرتية.

التعليقات

1 . **مجلس العشرة:** أو جماعة العشرة، وهم وزراء ابن تومرت، وأصحاب مشورته، وهم: عبد المؤمن بن علي، أبو محمد البشير، أبو إبراهيم الهزرجي، أبو حفص عمر بن علي الصنهاجي، أبو الربيع سليمان بن الحضري، أبو عمران موسى بن تمارا، أبو يحيى أبو بكر بن يجيت، أو عبد الله محمد ابن سليمان، أبو حفص عمر ابن يحى، عبد الله ابن ملوية. ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991م، ص 126 ـ 128. المؤلف الأندلسي المجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، ص 108. أبو بكر الصنهاجي (البيذق)، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، المغرب، د.ط، 1971م، ص 30 ـ 32. البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين**، تح: عبد الوهاب المنصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص 34-35.

2 . "**والعبد الفقير أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق**". البيذق، المصدر السابق، ص23.

3 . لمزيد من المعطيات عن المحطات الخمس يراجع، البيذق، المصدر السابق، ص11. عز الدين ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2002م، 9/ 195. ابن القطان، المصدر السابق، ص61.
علي ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، المغرب، 1972م، ص173.

4 . ومثال ذلك: نقل ابن الأثير عن البيذق حادثة التمييز، وطبقات الموحدين. ابن الأثير، المصدر سابق، ص199 . 200.

5 . ومثال ذلك: نقل ابن القطان أخبار الغزوات التي قام بها المهدي. ابن القطان، المصدر السابق، ص 138.

6 . أنظر جدول نُقول ابن عذارى المراكشي عن البيذق في مقال "**الكتابة التاريخية عند البيذق من خلال كتابه أخبار المهدي بن تومرت؛ وبداية دولة الموحدين" لصاحبه: المنور عواد ومحمد بن معمر**"، مجلة الحوار المتوسطي، مج 11، العدد 1، مارس، 2020، ص 79.

7 . ومثال ذلك ما نقلة ابن أبي زرع الفاسي عن البيذق ـ **نماذج عن أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر ـ ابن أبي زرع**، المصدر سابق، ص 174.

8 . ومما نقله ابن خلدون عن البيذق مسير ابن تومرت إلى مراكش، وكيفية التحاق عبد المؤمن بن علي والونشريسي بالركب التومرتي. عبد الرحمان بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، 303/6.

9 . أحد تلاميذ ابن تومرت، وهو ضمن أهل العشرة، وهو أول خليفة في دولة الموحدين، وكانت مدة ولايته ثلاثا وثلاثين سنة وأشهرا. يراجع: محمد بن أبي بكر، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 3/ 239.

10 . من الأربعة الذين كانوا مع ابن تومرت في رحلته من تونس إلى المغرب، وكذا من المؤمنين بالمشروع التومرتي في بلاد المغرب. نفسه، ص 12 ـ 23.

11 . أثبت البيذق تسع غزوات لابن تومرت، لكن ما أورده صاحب الحلل الموشية هو أربع غزوات. البيذق، المصدر السابق، ص 35 إلى 39. المؤلف المجهول، المصدر السابق، ص 116.

12 . فقد عرّفهما الإمام الطحطاوي (1231هـ) في كتابه "**حاشية الطحطاوي على الدّر المختار**" أنّ ما يلحق الإنسان في الآخرة يقال له العقاب، وان كان في الدنيا يقال له عقوبة"، ونفس المعنى وقفنا عليه في الاصطلاحات الفلسفية؛ حيث تميّز العقاب عن العقوبة؛ فكان الأول ما يلحق الإنسان بعد الذنب من المحنة في الآخرة، أمّا الثاني ـ العقوبة ـ فهي ما يلحق الإنسان من المحنة بعد الذنب في الدنيا. يراجع: أحمد بن محمد بن إسماعيل، الطحطاوي، **حاشية الطحطاوي على الدّر المختار شرح تنوير الأبصار في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان**، القاهرة، مصر، ط1، 288/2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، 1982م، 81/2.

13 . العقوبة جزاء مقدّر سلفا من الشارع، في حين نجد أنّ التأديب اجتهاد في تقدير الجزاء، وبالتالي: فإنّ كل عقاب تأديب، وليس كل تأديب عقاب، وإضافة إلى هذا حديث النبي ﷺ قال: "**أدبني رب فأحسن تأديبي**" فلا يمكننا إبدال كلمة "**أدبني**" "**بعاقبني**"، أمّا درجة الحديث فقد قال الألباني ضعيف. قال ابن تيمية في مجموع الرسائل الكبرى 336/2: معناه صحيح، ولكن لا يعرف له إسناد ثابت، وأيّده السخاوي والسيوطي. يراجع: محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1992م، 173/1.

14 . ومن جملة ما ذكره ابن أبي زرع الفاسي في هذا السياق: "**كان يأتيه بعض أتباعه وتلاميذه، وتكاثر عليه الناس، وامتلأت قلوبهم له محبة، ومهابة وتعظيما**". ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص175.

وقال اليسع في نفس السياق: "**ولما فشت دعوة المهدي، واتصلت طاعته، وكثر أتباعه...**". اليسع بن عيسى، **المغرب في محاسن المغرب**، دار الأمان، دراسة وجمع وتوثيق عبد السلام الجعماطي، المغرب، 2016م، ص 175.

15 . أمر ابن تومرت كل من البيذق والحاج الدكالي بتغيير منكر اللّهو وصراخ الرجال والنساء أمام المسجد. البيذق، المصدر السابق، ص 22.

16 . الرواية الأولى: أورد البيذق أن ابن العزيز ـ الظاهر أنه أحد الولاة، أو الأعيان بمنطقة بجاية ـ أمر ابن تومرت أن لا يأمر السوقة بالمعروف وهم لا يعرفونه، كما أبدى خوفه عليه من الساكنة، وهذا ما عجّل برحيل ابن تومرت إلى ملالة. البيذق، المصدر السابق، ص13.

17 . لا يمكننا التجني على البيذق والقول بأنّ هذه الرواية مخفية عنده كون انطلاقته في السفر المتبقي كانت من دخوله تونس.

18 . تبقى هذه الكرامات ومظاهر العصمة من الصور التسويقية التي يسوقها مؤرخو دولة الموحدين عن مهديهم، فهذه الحادثة تحديدا لا يمكن الجزم بصحتها، نظرا لانفراد ابن القطان بذكرها، أما ما تلاه من المؤرخين فقد كانت نقولهم لهذه الرواية من عند ابن القطان نفسه، ومن بينها نذكر:

ابن خلكان، المصدر السابق، 46/5. عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، ضبط وتصحيح: محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة القاهرة، ط1، 1949م، ص179.

19 . لا يكون هذا دائما؛ ففيه من المؤرخين من يخشى عقوبة السلطان، أو يتزلف للملك من خلال كتاباته، فلا يدلي بحقيقة عن قناعاته.

20 . لقد ألف أبو بكر الصنهاجي كتابين ممجدين لدولة الموحدين، يعظم فيهما أي صنيع، ويبرر أي تجاوز خاصة إذا كان من شيخه ابن تومرت. **كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين**، والمقتبس من كتاب **الأنساب** في معرفة الأصحاب.

21 . يراجع مقدمة التحقيق التي قام بها الدكتور محمد علي مكي لكتاب **نظم الجمان**، المصدر السابق، ص48.

22 . ومما أورده ابن صاحب الصلاة في كتابه المن بالإمامة رسالة أطنبت في ذكر خيرية الموحدين، ومن مضامينها أنّ الله قد خبأ لأوليائه الموحدين من الفتح ما لم يختص به غيرهم من الأنام. وهذه من بين الإشارات الكثيرة لولاء ابن صاحب الصلاة لدولة الموحدين. يراجع: عبد الملك بن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987، ص79.

23 . أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.

24 . أحمد ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مكتبة الملك فهد، السعودية، 2004، 477/11 . 478. أبو إسحاق الشاطبي، **الاعتصام**، ضبط نصه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، 71/2 . 72.

25 . الراجح أنه في سبيل الفخر والإكبار لابن تومرت أورد عبد الواحد المراكشي نصا يخدم المعادي أكثر من الموالي؛ يظهر فيه قساوة وعنفا في المعاملة. عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1949م، ص 191.

26 . كابن أبي زرع الفاسي ذي التوجه المريني.

27 . رغم تحرر ابن خلدون من التأثير الموحدي إلا أنّه أدلى بملاحظة غاية في الأهمية مفادها أنّ تلك الروايات القادحة في ابن تومرت نابعة عن الحسد، كون ابن تومرت "**متبوع الرأي، مسموع القول**". ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، ص 114.

28 . كالبيذق، وابن القطان المراكشي مثلا.

المصادر

1) ابن الأثير، عز الدين بن الحسن، (1997م)، **الكامل في التاريخ**، (ط1)، القاهرة، مصر، دار الهجرة.

2) البيذق، أبو بكر الصنهاجي، (1986م)، **أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين**، تح: عبد الوهاب المنصور، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

3) البيذق، أبو بكر الصنهاجي، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن المنصور، دار المنصور، المغرب.

4) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، (2004م)، **مجموع الفتاوى**، (ج11)، السعودية، مكتبة الملك فهد.

5) ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، (2000م)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، بيروت، لبنان، دار الفكر.

6) ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، (2004م)، **المقدمة**، (ط1)، دمشق، دار يعرب.

7) ابن خلكان، محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان**، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

8) ابن أبي زرع الفاسي، علي بن محمد، (1972م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المغرب، دار المنصور.

9) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد، (1954م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الدار البيضاء، المغرب، دار الكتاب.

10) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، **الاعتصام**، (ج2)، ضبط نصه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد.

11) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك أبو محمد، **المن بالإمامة**، تح: عبد الهادي التازي، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الغرب الاسلامي.

12) ابن طباطبا، محمد بن علي، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، بيروت، لبنان، دار صادر.

13) عبد الواحد المراكشي، ابن علي (1949م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، (ط1)، تح: محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، القاهرة، مصر، مطبعة الاستقامة.

14) الطحطاوي، أحمد بن محمد بن إسماعيل، ح**اشية الطحطاوي على الدّر المختار شرح تنوير الأبصار في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان**، (ج2)، (ط1)، القاهرة، مصر.

15) الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير**، (ط4)، القاهرة، مصر، دار المعارف.

16) القاضي النعمان، بن محمد (1996م)، **كتاب المجالس والمسايرات**، (ط1)، بيروت، لبنان، دار المنتظر.

17) ابن قدامة المقدسي، محمد صالح، (1997م)، **المغني**، الرياض، السعودية، دار عالم الكتاب.

18) ابن القطان المراكشي، أبو الحسن علي، (1991م)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

19) الماوردي، أبو الحسن علي، (1981م)، **تسهيل النظر وتعجيل الظفر**، بيروت، لبنان، دار النهضة.

20) ابن المبرد، جمال الدين أبي المحاسن، (1991م)، **الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي**، (ط1)، دار المجتمع.

21) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، (1985م)، **لسان العرب، نشر أدب الحوزة**.

22) المؤلف الأندلسي المجهول، (1979م)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (ط1)، الدار البيضاء، المغرب، دار الرشاد الحديثة.

23) ابن اليسع، أبو يحيى اليسع بن عيسى، (2016م)، **المغرب في محاسن المغرب**، جمع وتوثيق: عبد السلام الجعماطي، دار الأمان.

المراجع

1) أزايكو، علي صدقي، (2004م)، **نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية**، الرباط، المغرب، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

2) الألباني، محمد ناصر الدين، (1992م)، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، (ط1)، الرياض، السعودية، مكتبة المعارف.
3) أنس، إبراهيم، (2004م)، **المعجم الوسيط**، (ط4)، القاهرة، مصر، مكتبة الشروق الدولية.
4) بهنسي، فتحي، **العقوبة في الفقه الإسلامي**، (ط5)، بيروت، لبنان، دار الشروق.
5) بوتشيش، ابراهيم القادري، (1997م)، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الطليعة.
6) بولطيف، لخضر محمد، (2009م)، **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**، (ط1)، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالي للفكر الإسلامي.
7) الربيعي، إسماعيل، (30 أوت، 2021م)، **التاريخ من أسفل قراءة في القاع الاجتماعي العراقي**، (مؤسسة الحوار الإنساني، المحرر)، لندن.
8) أبو زهرة، محمد، **الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي**، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي.
9) شلال العاني، محمد، والعمري، عيسى صالح، (1997م)، **فقه العقوبات في الشريعة الإسلامية**، (ط1)، دار المسيرة.
10) ابن صالح، إبراهيم، (2007م)، **ولاية التأديب**، (ط1)، دار ابن الجوزي.
11) صليبا، جميل، (1982م)، **المعجم الفلسفي**، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني.
12) ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984م)، **التحرير والتنوير**، تونس، تونس، الدار التونسية للنشر.
13) عواد لمنور وبن عمر محمد، (مارس 2020م)، مجلة الحوار المتوسطي، مج: 11، العدد: 1.
14) قلعجي، محمد رواس، (1989م)، **موسوعة فقه عمر**، (ط4)، بيروت، لبنان، دار النفائس.
15) المغراوي، محمد، (2006م)، **الموحدون وأزمات المجتمع**، (ط1)، الرباط، المغرب، جذور للنشر.
16) النجار، عبد المجيد، (1983م)، **المهدي بن تومرت حياته آراؤه وثورته الفكرية**.